# إستراتيجية تربية الطفل في الفكر العربي القديم

✍ د. سليمة عكروشي
كلية الآداب واللغات
معهد الترجمة جامعة الجزائر 2

**ملخص:**

لكل إستراتيجية مبادئ تقوم عليها وأهداف تسعى إلى تحقيقها. وقد قامت الإستراتيجية التربوية عند العرب القدامى على ثلاث دعائم متكاملة في أهدافها، أولها الإستراتيجية الاجتماعية والأخلاقية التي سعت إلى بث في النشء العادات الفاضلة وغرس الصفات الخلقية التي اشتهر بها العربي قديما. ثانيها الإستراتيجية الأدبية والفنية التي اعتمدت على الجانب الجمالي والتأثير الفني في غرس تلك القيم والمثل في أبنائها وقد قام بهذه المهمة الشعراء والأدباء. وثالثها الإستراتيجية العلمية التي تولى المفكرون والفلاسفة في وقت مبكر من الحضارة الإسلامية وضع مناهجها وأسسها وبرامجها في مختلف المصنفات والرسائل التي وضعوها وألفوها. وقد هدفت هذه الإستراتيجيات الثلاث إلى بناء فرد مسلم متميز عن بقية الأمم الأخرى.

**Resumé:**

Chaque stratégie est fondée sur des principes et des objectifs qui visent à les atteindre. En ce qui concerne la stratégie éducative dans l'ancienne culture arabe , elle est basé sur trois piliers premièrement la stratégie sociale qui a cherché à transmettre au enfants les traditions et le qualités moral . Deuxièmement, la stratégie littéraire et artistique qui à utilisée l'influence artistique en transmettant ces valeurs au enfants. Troisièmement, la stratégie scientifique fondée par des penseurs et des philosophes de la civilisation islamique qui ont cité des programmes éducatifs dans divers ouvrages qu'ils ont écrites. Ces trois stratégies avaient pour but de construire un individu distinct, par sa culture , des autres.

**الكلمات المفاتيح:** إستراتيجية تربوية، التربية عند العرب، الطفل، الصبي، فرد مسلم متميز.

**مقدمة:**

لم يقتصر علم الإستراتيجية على الميدان العسكري والسياسي وإنما اقتحم ميادين المعرفة الإنسانية الأخرى كالاقتصاد والثقافة والتربية وغيرها، فقد صار لكل ميدان إستراتجيته الخاصة به. غير أن هناك شيئا مشتركا بين مختلف الإستراتيجيات هو أنه علم لا تمارسه إلا نخبة من الناس لها مستوى عال في اختصاصها وحسّ رفيع بالمسؤولية العلمية والمعرفية. وكلمة إستراتيجية مشتقة من الكلمة اليونانية إستراتيجيوس وتعني فن القيادة وقد كان معناها- لفترة طويلة- قريب إلى مفهوم- المهارة التي كان يمارسها كبار القادة، في المجالات العسكرية، لذلك ارتبط مفهومها بتطور الحروب. "والإستراتيجية هي فن استخدام الإمكانات والوسائل المتاحة بطريقة مثلى لتحقيق الأهداف المرجوة على أفضل وجه ممكن، بمعني أنها طرق معينة لمعالجة مشكلة أو مباشرة مهمة أو أساليب عملية لتحقيق هدف معين،خطة محكمة البناء ومرنة التطبيق يتم من خلالها استخدام كافة الإمكانات والوسائل المتاحة بطريقة مثلى لتحقيق الأهداف المرجوة"[1].

وقد تدرجت الإستراتيجية- كغيرها من العلوم التي لا تنشأ دفعة واحدة- من مجرد ممارسة غريزية فطرية إلى علم يدرس في الأكاديميات والجامعات. ويشترط في الفعل الاستراتيجي أن يرافق المفهومُ الفعلَ من جهة وأن يتطلع إلى المستقبل من جهة ثانية "فالدلالة الأولى التي ترافق مفهوم الفعل الإستراتيجي هو التوافق أو التلاؤم فالإستراتيجية ليست شكلا بسيطا أو سهلا نتحدث عنه أو ننظِّر له، بل يجب أن تترافق مع الممارسة من قبل أشخاص مسئولين و أكْفَاء ... أما الدلالة الثانية التي ترافق مفهوم الفعل الإستراتيجي فهي المستقبل. حيث إن الإستراتيجية تنقل نظرنا إلى أبعد من اللحظة التي نعيشها،إنها .كما يقول بعض الإستراتيجيين .كل ما يمنعنا من الخضوع إلى دكتاتورية اللحظة. الإستراتيجية شكل من أشكال تخيل المستقبل بأكمله. فالإستراتيجي هو من يملك رؤية كاملة وبعيدة".[2]

ومن خلال ما سبق يمكن عد الإستراتيجية في مجال تربية الطفل فنا وعلما في آن واحد، أما من حيث هي فن أن يكون القائم على تربية الطفل موهوبا، بمعنى أن يمتلك

الاستعداد النفسي الذي يمكِّنه من بناء علاقات جيدة بينه وبين نفسه أولا وبينه وبين الطفل ثانيا ومن معايير هذه الفنية أن يحب القائم على تربية الطفل عمله فالفنان يحب فنه ويدافع عنه وهذا الحب يدفعه دوما إلى تطويره وصقله بمختلف المعارف كي يحقق لفنه الازدهار، ويقبل عليه بوجدانه قبل عقله فيتفاعل مع عمله كتفاعل الرسام والموسيقي والشاعر في إنتاج روائعه، ومتى أحب الفرد الشيء، اختاره ودافع عن اختياره وأبدع فيه وقدّمه بفرح وابتسامة مما يساعد على توصيل المعلومات بصورة فعالة تزرع في نفس الطفل الاطمئنان والحب والثقة. أما من حيث هي علم هو أن يخضع هذا التعامل إلى دراية ومعرفة بآلياته العلمية حتى لا تكون تطبيقاته وممارساته عشوائية. فما حظ الرؤى التربوية في تراثنا العربي القديم من هذه الإستراتيجية وما حظ الطفل العربي قديما منه؟.

## إستراتيجية الأصول التربوية عند العرب القدامى:

الحقيقة أن الأصول التربوية العربية القديمة لم تخلُ هي أيضا من إستراتيجية وإن كان يغلب عليها ـ في بدايتها ـ النظرة الذاتية القائمة على الخبرة والتجربة. فقد اهتم المجتمع العربي القديم بالطفل، الذكر بالدرجة الأولى، من منطلق نظرة ما يجب أن يكون عليه هذا الطفل داخل القبيلة أو ما الذي يمكن أن يقدمه هذا الطفل لقبيلته، لأجل هذا كان " إذا ولد لأحدهم مولود هنأه الشعراء وأقيمت الولائم، لأنه سيحمي العشيرة، ويدفع عنها الضيم، ويغير على الأعداء، فهو فتاها في السلم والحرب، وفي اليسر والعسر"[3] ولعل من علامات اهتمام العرب قديما بالطفل تعدد المصطلحات الخاصة به، فقالوا الطفل والصبي والولد والغلام، « فالطفل، الصغير من كل شيء، بيّن الطَّفَل والطَّفالة والطفولة والطفولية ... والصبي يدعى طفلا حين يسقط من بطن أمه إلى أن يحتلم ... والطفل، المولود، ووَلَدُ كل وحشية أيضا طفلٌ ... والطِّفل، الصغير من أولاد الناس والدواب. وأطفلت المرأة والظبية والنَّعم إذا كان معها ولدٌ طِفلٌ "[4] " والصبي من لدن يولد إلى أن يفطم والجمع أصبية وصبوة وصبية وصبيان"[5] "والولد الصبي حين يولد، وقال بعضهم تدعى الصبية أيضا وليدا، وقال بعضهم: بل هو للذكر دون الأنثى"[6]

أما « الغلام فهو الطَّارُ الشارب وقيل هو من حين يولد إلى أن يشيب والجمع أغلمة وغلْمة وغلمان"[7].

من هذه التعريفات نستنتج أن الطفل هو تسمية عامة لكل صغير إلى أن يبلغ، في حين أن المسميات الأخرى هي وصف لمرحلة من المراحل التي يمر بها الطفل، فالصبي والولد هو الطفل من الولادة إلى البلوغ وأما الغلام فهو الطفل الذي بلغ واحتلم.

وقد ورد ذكر كلمة الطفل في القرآن الكريم أربع مرات: مرتان منها تشيران إلى المرحلة المبكرة قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلا﴾[8] وقوله عز وجل ﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ [9] وواحدة للمرحلة المتوسطة من عمر الطفل، قال تعالى: ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾ [10] والأخيرة لمرحلة الطفولة المتأخرة ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم﴾[11] فالآيات الكريمة تشير إلى أن للطفولة مراحل ثلاثة وهي المراحل التي اهتم علماء النفس المحدثون بدراستها ووضعوا أسسها.

وقد قامت الإستراتيجية التربوية في الفكر العربي القديم على ثلاث إستراتيجيات متنوعة لكنها متكاملة وهي الإستراتيجية الاجتماعية الأخلاقية والإستراتيجية الأدبية الفنية والإستراتيجية العلمية.

**أولا: الإستراتيجية الاجتماعية**

تتمثل الإستراتيجية الاجتماعية الأخلاقية في مختلف العادات والقيم والأخلاق والآليات الاجتماعية التي كان العربي قديما حريصا على أن يبثها في الطفل. ففي العصر الجاهلي كان النظام القبلي "ينظر إلى النشء على أنهم رجال صغار السن، ومن ثم تربي الصغير على تحمل المسؤولية ومساعدة الكبير، وكان جوهر التربية يتضمن تدريب الصغار على أعمال الكبار ليسلكوا طريقهم في كسب العيش وتحصيل اللباس واتخاذ المسكن، ويقتدر على مدافعة الأعداء ومنازلة الوحوش كما كانت تستهدف بث العادات الفاضلة وغرس الصفات الخلقية التي اشتهر بها العرب منذ القدم ... وقد كان الأحداث يتلقون

ما يصل إلى أيديهم وحواسهم من الآداب والأخلاق والمعارف عن طريق السماع والمحاكاة وحضور الأندية والاجتماعات والأسواق والحروب وغيرها"[12].

كانت تربية الطفل في العصر الجاهلي قائمة على شيئين أساسيين:

- تدريب الطفل على أعمال يساهم بها في مجتمعه القبلي.
- تحصيل المعارف والمتمثلة أساسا في حفظ الشعر وأيام العرب.

لهذا " ارتبطت التربية العربية قبل الإسلام بالنظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وبعقائد المجتمع الجاهلي وتقاليده وعاداته ارتباطا وثيقا ... قامت التربية بتدريب الفرد على طرق الحياة، وإعداده من الناحية العملية لتحمل المسؤولية والحصول على متطلبات الحياة، ولم يتحقق ذلك من غير دمج الإنسان العربي في تقاليد المجتمع التي بدأت من الأسرة فالقبيلة فالعشيرة "[13] والشيء اللافت في هذه التربية أنها كانت لا تفرق بين الصغير والكبير بمعنى لم يكن للطفل برنامج خاص به وإنما كان الطفل يتلقى المعارف والقيم بالطريقة نفسها التي يتلقى بها الكبار معارفهم.

ومن هذا المنطلق، كان العربي في الجاهلية ينظر إلى الطفل بمعزل عن الطفولة، فلا يرى فيه إلا ما يجب أن يكون عليه، لا ما هو كائن فيه. لا يرى فيه إلا مصلحة القبيلة قبل مصلحة الطفل.

وبمجيء الإسلام حُدِّدت القواعد التربوية والأخلاقية للعناية بالطفل والطفولة، وأوكلت مهمة تنشئة الطفل إلى الوالدين، يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه"[14] وقد اعتبر الإسلامُ الطفلَ زينة ﴿الْمالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَياةِ الدُّنْيا﴾[15] كما اعتبره هبة أيضا: ﴿لِلّهِ مُلْكُ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ الذّكُورَ ﴾[16].

وقد ورد في القرآن الكريم مجموعة من الأسس التربوية التي تقوم عليها التربية الصحيحة القائمة على التفريق بين الحق والباطل، الحلال والحرام. وقد ذكر القرآن منهج بعض الآباء من الرسل والرجال الصالحين وإستراتيجيتهم في تربية أبنائهم يقول تعالى:

﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[17] وتعد منهجية لقمان الحكيم في تربية ولده خير دليل على تلك المنهجية القائمة على الموعظة الحسنة والدعوة اللينة.

هذا وقد خص الرسول صلى الله عليه وسلم الأعوام السبعة الأولى من حياة الطفل للعب، لا يتحمل فيها أية مسؤولية حتى يستوفي حقه من الرعاية والاهتمام، فلا يؤاخذ على تربية أو تعليم، حتى إذا ما بلغ السبع أعوام صار جاهزا للتعليم والتوجيه، وهي قاعدة تربوية سار عليها المسلمون الأوائل، وسجلوها في أقوالهم حين قالوا " لاعب ابنك سبعا، وعلمه سبعا، وجالس به إخوانك سبعا، يتبين لك أخُلفٌ هو بعدك أم خَلَف"[18] واقتداء بالرسول الكريم سار العرب المسلمون على نهجه في التربية ففي عهد عمر بن الخطاب اتسعت بلاد المسلمين واستجدت أمور في حياتهم، فبعدما كانوا يعيشون في الصحراء، لا يمتطون إلا الإبل والخيل، أصبحت تعترضهم البحار والأنهار وصار لزاما عليهم ركوب البحر فأحسوا بحاجتهم إلى تعلم السباحة كحاجتهم إلى حُسن التسديد والتدريب والمران على الرماية وركوب الخيل ورواية جيد الشعر وأجمله هذه هي إستراتيجية عمر في تربية النشء، تربية قائمة على تلبية حاجات الطفل العصرية حين يقول "علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل ورووهم ما يجمل من الشعر"[19] ومن الذين عرفوا أهمية تعليم الأطفال السباحة الحجاج بن يوسف الثقفي وهو يوصي مؤدب بنيه: "علمهم السباحة قبل الكتابة، فإنَّهم يجدون من يكتب عنهم، ولا يجدون من يسبح عنهم"[20] ولم يقتصر المسلمون على حاضرهم في تنشئة الأطفال، بل كانت لهم نظرة مستقبلية في ذلك، يقول الإمام علي- كرم الله وجهه- : "علموا بنيكم غير أخلاقكم، لأنهم خلقوا لزمان غير زمانكم"[21].

وقد كان تعلم الحساب من الأهمية بمكان، فقد استدعت الحياة الجديدة تعلمه لاتساع تجارة العرب وتعدد مصادر كسبهم فهو المساعد على عقد صفقاتهم التجارية وحساب قيمتها وأرباحها حتى عدَّ بعضهم تعلم الحساب أهم من تعلم الكتابة يقول ابن التوأم:

"علم ابنك الحساب قبل الكتاب، فإن الحساب أكسب من الكتاب، ومؤونة تعلمه أيسر، ووجوه منافعه أكثر، وفي ما يجب على الآباء من حفظ الأبناء، أن يعلمه الكتاب والحساب والسباحة"[22] وقد كانت للسادة والخلفاء إستراتيجيتهم في تربية أبنائهم وإعداد قادة المستقبل فقد كان ذو الأصبع العدواني زعيم قومه وأراد أن يخلفه ابنه في زعامة القوم فقدم له منهجا تربويا إن اتبعه والتزم به بلغ هدفه يقول: " يا بني إن أباك قد فني وهو حي وعاش حتى سئم العيش وإني موصيك بما أن حفظته بلغت في قومك ما بلغته فاحفظ عني. ألن جانبك لقومك يحبوك، وتواضع لهم يرفعوك، وابسط لهم وجهك يطيعوك، ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم، يكرمك كبارهم، ويكبر على مودتك صغارهم. واسمح بمالك، واحم حريمك، وأعزز جارك، وأعن من استعان بك، وأكرم ضيفك، وأسرع النهضة في الصريخ، فإن لك أجلا لا يعدوك، وصن وجهك عن مسألة أحدا شيئا، فبذلك يتم سؤددك"[23].

وهذا عبد الملك بن مروان يحث أبناءه على الفروسية، ويشجعهم على الرئاسة قائلا: "كلكم يترشح لهذا الأمر، ولا يصلح له منكم إلا من له سيف مسلول، ومال مبذول، وعدل تطمئن إليه القلوب"[24].

**ثانيا: الإستراتيجية الأدبية والفنية**

تتمثل هذه الإستراتيجية في الوسيلة التي اعتمدها المربي العربي قديما في تربية النشء، لم يكتف الآباء والمربون بوسيلة الوعظ المباشر والتأثير البسيط بل اعتمدوا وسيلة التأثير الفني والجمالي، ببساطة اعتمدوا على الشعر في بث تلك القيم وتلك المثل في أبنائهم، لهذا كان للشعراء والأدباء وبعض الرجاز باع في تدعيم إستراتيجية هذه التربية. تحدث هؤلاء عن تربية الطفل وكيفية معاملته، وسجلوا آراءهم في ذلك، ويعتبر الجاحظ أبرز الأدباء الذين تحدثوا عن طبيعة الطفل ومتطلباته، وعدَّ مخاطبة الطفل ومجاراة مستواه العقلي من أهم المهمات التي لا يضطلع بها إلا الأكفاء من الناس حين يقول: "ألا ترى أن أبلغ الناس لسانا، وأجودهم بيانا، وأدقهم فطنة، وأبعدهم روية لو ناطق طفلا، أو ناغى صبيا، لتوخى حكاية مقادير عقول الصبيان، والشبه لمخارج كلامهم وكان لا يجد بدا من أن يتصرف عن كل

ما فضله الله به، بالمعرفة الشريفة، والألفاظ الكريمة"[25] وقد ركز الجاحظ على ضرورة تعليم النحو للطفل بقدر ما يساعده على التعبير السليم دون أن نحشو ذهنه بآراء النحاة وخلافاتهم يقول "أما النحو فلا تشغل قلبه منه إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه، وشعر إن أنشده، وشيء إن وصفه، وما زاد عن ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به ومذهل عما هو أرد عليه منه، من رواية المثل والشاهد والخبر الصادق والتعبير البارع"[26] وقد نبه الجاحظ إلى الجانب البيداغوجي في تقديم المعلومة فأشار إلى ضرورة اعتماد الأسلوب السهل الواضح المثير والمشوق الذي يحبب إلى المتعلم حب المادة والإقبال عليها " ثم خذ بتعريف حجج الكتاب، وتخلصهم باللفظ السهل القريب المأخذ إلى المعنى الغامض وأذقه حلاوة الاختصار وراحة الكفاية وحذره التكلف واستكراه العبارة، فإن أكرم ذلك كله ما كان إفهاما للسامع، ولا يحوج إلى التأويل والتعقب ويكون مقصودا على معناه ولا مقصرا ولا فاضلا عليه، فاختر من المعاني ما لم يكن مستورا باللفظ المتعقد، معرفا في الإكثار والتكلف "[27].

هذا وقد تبنى الجاحظ بعض الآراء والأساليب في تربية الطفل الرضيع وأدرجها في كتبه من ذلك قوله أن الآباء والمربين "كرهوا للطفل أن ينوّم وهو يبكي، وحبذوا تدليله، وإرقاصه، حتى تطيب نومته. نستدل على ذلك من قول ليلى الأخيلية الشاعرة للحجاج حين سألها عن ولدها وقد أعجبه ما رأى من شبابه: إنني والله ما حملته سهوا، ولا أنمته مئقا ... أما قولها في المأقة فإن الصبي يبكي بكاءً شديدا متعبا موجعا، فإذا كانت الأم جاهلة، حركته في المهد حركة تورِّثه الدوار أو نوّمته بأن تضرب بيدها على جنبه، ومتى نام الصبي وتلك الفزعة أو اللوعة أو المكروه قائم في جوفه، ولم يعلل ببعض ما يلهيه ويضحكه ويسره، فإن ذلك مما يعمل الفساد، والأم الجاهلة والمرقصة الخرقاء، إذا لم تعرف ما بين هاتين الحالتين، كثر منها ذلك الفساد، وترادف حتى يخرج الصبي مائقا"[28]

ويعلل المبرد تعليلا آخر فيقول: " لم أبته مغيظا، وذلك أن الخرقاء تبيّت ولدها جائعا مغموما، لحاجته إلى الرضاع، ثم تحركه في مهده حتى يغلبه الدوار فينومه. والكيّسة تشبعه وتغنيه

في مهده، فيسري ذلك الفرح في بدنه من الشبع كما يسري ذلك الغم من الجوع في بدن الآخر"[29]

وقد عبر الشاعر العربي حطان بن المعلى عن مكانة الطفل في نفسه قائلا:

"وإنـــما أولادنـا بينـــنا * أكـــبادنا تمشـــي علـــى الأرض
لو هبّت الريح عـلى بعضهم * لامتنعت عيني عـن الغمض"[30]

هذا وقد أوجدت القريحة العربية مقطوعات شعرية وترنيمات، تهدهد بها الصغار، وهي ترنيمات يرددها أفراد الأسرة الواحدة، خاصة الآباء والأجداد، مراعين في ذلك المخاطب من ذكر أو أنثى،.فالأغاني المخصصة للذكور لها معانيها التي تدور حولها، كالمداعبة والمفاكهة والتعبير عن الحب والإعجاب والدعاء للطفل.هذا وقد ضمن الآباء قصائدهم وأغانيهم ما يحبون أن يتصف به ابنهم في مستقبل حياته، من شجاعة وكرم وحلم وسؤدد، فقد كان العاص بن وائل يرقّص ابنه عمروا في طفولته قائلا:

"ظنـي بعمـرو أن يفـوق حلـما
وأن يســود جُمَـــحاً وسهـــما
ويُنشـــقَ الخصـــم الألـدّ رُغـما
وأن يقـود الجيـش بَحْـراً دهـما
يلهم أحشاء الأعادي لهما"[31]

وقد ورد عن بعض الآباء العرب قديما حبهم لبناتهم وافتخارهم بهنّ فقد قيل كان لمعن بن أوس ثماني بنات وفيهن قال:

"رأيت رجالا يكرهون بناتهم * وفيهن لا تكذب نساء صوالح
وفيهن والأيام يعثرن بالفتى * عوائـد لا يمللنه ونـوائـح"[32]

ومن المعاني التي وردت في التعبير عن حب البنت، التغني بجمالها وطيب أصلها والدعاء لها. فمن الحب قولهم:

"بنيتـــي ريحانـــة أشمـــها
فديت بنيتي وفدتني أمها"[33]

وقول آخر:

"كريمـــة يحبـــها أبـــوها
مليحة العينين عذب فوها
لا تحسن السب وإن سبّوها"[34]

وأجمل ما قيل في هذا، قول هذا الرجز في ابنة له اسمها ريّا:

" واهـا لـــريا ثـــم واهـا واهـا
فاضت دموع العين من جرّاها
هـي المنـى لـو أنـنا نلـناها
يـا ليـت عيـناها لـنا وفـاها
بثمـــن نرضـــي بـــه أبـاها
إن أبـــاها وأبـــا أبـــاها
قد بلـغا فـي المجد غايتاه"[35]

وغيرها من المعاني التي من شأنها أن تعزز ثقة الطفل بنفسه وتقديره لذاته.

ويعتبر أبو العلاء المعري أكثر الشعراء الذين تحدثوا عن تربية الطفل فقد قدم منهجا واضحا في كيفية معاملة الطفل وتربيته كي يكون صالحا في مجتمعه. وأول الشيء يذكره المعري في تربيته الطفل إقراره بجمال مرحلة الطفولة وروعتها فيعتبرها أحلى مراحل الحياة، أو كما قال " أنفس وقت وأجله" حين يقول:

شر الزمان زمان أشيب دالف * وصباه أنفس وقته وأجلُّهُ"[36]

لقد بحث المعري عن الطفولة في مجتمعه « فوجد أطفالا بلا طفولة بسبب عمى قلوب وبصائر ذويهم والقائمين عليهم، فقد راعه ما شهده من فساد العصر وترديه، وتأثير

ذلك في تربية الأطفال، رأى أن الكثير من الآباء ينجبون أطفالا وهم غير مؤهلين لتربيتهم، فيظلمون هذا الطفل عندما يأتون به إلى هذه الدنيا:

"كِبَارُ أُنَاسٍ مِثْلُ جِلَّةِ سَائِمٍ * يُرَبُّونَ أَطْفَالاً كما ارْتَضَعَ البَهْمُ "

لقد غلبت التربية الخاطئة في المجتمع، وربما كان ما هو أشد وأخطر في نظره، فقد كانت مشاهد الحروب والفتن مما تعوّد الطفل حينها مشاهدتها، وهذا وحده كفيل بأن يتلف طفولتهم حين ينشأون على حب الدماء، من أجل ذلك راح يؤسس للفضاء الذي يجب أن يعيش فيه الطفل كي يرتضع فيه طفولته بكل حلميتها وإيجابيتها، فضاء يقوم بالدرجة الأولى على تربية الأطفال وتنشئتهم في بيئة مليئة بالفضائل، بعيدة كل البعد عن الأرجاس، كي تثمر نفوسا نقية وشخصيات متوازية:

" فلا تُعَلِّمْ صَغِيرَ القَوْمِ مَعْصِيةً * فَذَاكَ وِزْرٌ إلى أَمْثَالِهِ عَدلَكْ "

أول ما ذهب إليه الشاعر هنا حرصه على إثبات حق الطفل في الرعاية والعناية، بتزويده بأفضل الطاقات وأعظم القدرات فإن هذا من شأنه أن يساعده في تحقيق ذات سوية، تستشعر في مستقبلها أصداء طفولة سوية صحيحة، ومنه فإن التركيز على الجانب النفسي في تربية هذا الطفل من الأهمية بمكان، فلا ينحصر دور الآباء أو القائمين على هذا الطفل في توفير الغذاء كالحيوان بل الأهم إلى جانب هذا مراعاة الجانب النفسي أيضا

"لا تَـزْدَرُنَّ صِـغَارًا في مَلاَعِبِهِـم * فَجَائِـزٌ أَنْ يـرُوْا سَـادَاتِ أَقْـتوَامِ
وأَكْرِمُوا الطِّفْلَ عَنْ نُكرٍ يُقَالُ لَهُ * فَإِنْ يَعِشْ يُدْعَ كَهْلاً بَعْدَ أَعْوَامِ"

يشير الشاعر إلى أهمية احترام لعب الطفل، فإن له أهمية في تعزيز ثقته بنفسه وتقدير ذاته. ولا تُزرع القيم في نفسه بالشتم والإهانة بل بالرفق واللين، بهذه المعاملة نبني رجالا أسوياء ذوي نفوس قوية، يعوّل عليها لقيادة الأمة. فقوة النفس تأتي من الرفق لا من الشدة ، فالرفق يولد الرحمة في القلوب، والشدة لا تولِّد إلا غلظة ورغبة في الانتقام

" وَرِفْـقًا بالأَصَاغِـرِ كَـيْ يَقُولُـوا * غَـدَونا بِالجَميلِ مُعَامَلِينَا
فَأَطْفَالُ الأَكَابِرِ إنْ يُوَقُّوا * يُرَوْا يَوْمًا رِجَالاً كَامِلِينا "[37]

فالظاهر من هذا الكلام، معرفة هؤلاء الأدباء بالأسس التربوية الصحيحة التي تقوم على معرفة وإدراك حاجة الطفل إلى الاستقرار النفسي إلى جانب راحة البدن.

**ثالثا: الإستراتيجية العلمية:**

هي الإستراتيجية التي تجسدت في مختلف الرسائل والكتب التي ألفها أصحابها في التربية وأسسها. فقد اعتنى فلاسفة المسلمين وعلماؤهم بتربية الطفل في وقت مبكر من الحضارة الإسلامية وقد ترجمت هذه العناية في عدد من المؤلفات التي وضعوها في هذا الموضوع.(*) كانت إستراتيجية هؤلاء المفكرين قائمة على نظرة شاملة لمقومات التربية والتعليم الأساسية المتمثلة في المتعلم المعلم والبرنامج. والمتصفح لعناوين تلك الرسائل والكتب وما تحويه يستنبط إستراتجيتهم في التعليم ومناهجهم المتبعة فيه .فقد اهتموا بالمعلم من حيث أخلاقه وتكوينهم وأسلوبه في التربية والتعليم، وأجوره وعلاقته بالمتعلم ووليه وبالمنهج الذي يجب أن يزود به. كما اعتنوا بالسن التي يلتحق بها المتعلم بدور التعليم، وتحدثوا عن المراحل العمرية التي يمر بها الطفل وخصائص كل مرحلة وما تتطلبه من مادة علمية مناسبة لميوله واستعداده النفسي والعقلي. وتحدثوا أيضا عن علاقة المتعلم بأقرانه من جهة وعن علاقته بمعلميه من جهة ثانية. واهتموا بالبرامج وللمناهج وما يتطلبه المتعلم في أعوامه الأولى من مادة تناسب مستواه العقلي فميزوا بين الحفظ والاستيعاب، وتحدثوا عن مختلف العلوم وميزوا بينها في السهولة والصعوبة وصنفوها حسب أهميتها ودرجة استيعابها فوضعوا لكل علم أو درس وقتا يناسبه. واتفقوا على المادة التي يجب على المتعلم تعلمها فأجمعوا على أن حفظ القرآن هو أول ما يجب على التلميذ تعلمه، ثم اهتموا بالأدب العربي وما يحويه من أمثال وحكم وسير وقصص وأيام وخطب وشعر بالتركيز على رواية ما جمل وحسن من ذلك الأدب الذي يساعد على غرس القيم والمثل في نفس النشء من جهة وتزويده بأساليب التعبير المختلفة مما يكسبهم الفصاحة والبلاغة من جهة أخرى.كما اهتموا بالتاريخ والفلسفة والحساب وغيرها. ولكثرة العلوم المستحدثة في عصرهم، صنفوا الدروس التي تقدم للمتعلم إلى إجبارية واختيارية فالإجبارية هي القرآن

والفقه وما يلزمهما من مواد تساعد في فهمهما كاللغة والنحو والخط وأما الاختيارية فهي الشعر والحساب والتاريخ . كما اهتموا بأهمية اللعب ودوره في التعليم فقد نصح الإمام الغزالي بضرورة ترفيه الطفل وعدَّ اللعب الوسيلة المثلى لهذا الترفيه قائلا "ينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جميلا يستريح إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب، فان منْع الصبي من اللعب وإرهاقه في التعليم دائما، يميت قلبه ويعطّل ذكاؤه، وينغّص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا"[38] فاللعب حاجة ملازمة لعملية التعلم، به ترقى مستويات الطفل البدنية والعقلية والنفسية والاجتماعية وتنمو النمو الصحيح . هذا وقد نبه الغزالي إلى ضرورة مراعاة اختلاف الطبائع لدى الأطفال فلا يعاملوا معاملة واحدة فيقع الحيف على المتعلم وتهدر حقوقه "وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكهم وأمات قلوبهم بل ينبغي أن ينظر في مرض المريد وفي حاله وسِنه ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرياضة ويبني على ذلك رياضته"[39] .

وقد ذهب بعض المفكرين إلى أبعد من هذا حينما دعوا إلى أن يكون التعليم إلزاميا، فقد دعا القابسي في القرن الرابع للهجرة بإجبارية التعليم وألزم الأب القادر بدفع تكاليف تعليم ابنه[**]، والملاحظ هنا أن المادة العلمية المقدمة إلى الأطفال هي نفسها المادة الموجهة إلى الكبار ولعل الابتداء بتعليم القرآن الكريم هو السبب في ذلك. وقد أحس هؤلاء المفكرون بالمشكل فارتدعوا لها حلولا حاولوا بها تخفيف عنت ما يمكن أن يلحق المتعلم فدعوا إلى التدرج في تقديم المادة من السهل إلى الصعب والمزج بين الجد والهزل كي لا يلحق المتعلم الملل والسأم من الدرس.

إذا، بهذه الإستراتيجية التربوية التي كانت حريصة على إعداد فرد مسلم عارف بدينه ولغته وتاريخه من جهة ومساير لمستجدات عصره من جهة ثانية، توصل المسلمون الأوائل إلى بناء الإنسان المسلم المتميز عن غيره من الأمم.

## الهوامش:

[1]- مخطوط بحث في التربية ومناهج التدريس بعنوان إستراتيجيات التدريس المتقدمة وإستراتيجيات التعلم وأنماط التعلم، عبد الحميد حسن عبد الحميد شاهين كلية التربية جامعة الإسكندرية 2010 / 2011 ص : 22.

[2]- مدخل إلى الفكر الإستراتيجي، صلاح نيُّوف، الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك كلية العلوم السياسية، ص : 03

[3]- الفكر الإسلامي وثقافة الطفل العربي، أحمد سويلم، مركز الكتاب للنشر ط1 1997. ص: 23 . 24

[4]- لسان العرب، ابن منظور، مج11، دار صادر بيروت ص : 401 . 402.

[5]- نفسه، ج14 ص : 450.

[6]- نفسه، ج 3، ص : 467.

[7]- نفسه، ج 12. ص : 440.

[8]- الآية 67، سورة غافر

[9]- الآية 05، سورة الحج

[10]- الآية 31، سورة النور

[11]- الآية 59، سورة النور

[12]- الفكر الإسلامي وثقافة الطفل العربي، أحمد سويلم ص: 19. 20.

[13]- نفسه، ص: 28.

[14]- صحيح البخاري

[15]- الآية 46، سورة لكهف.

[16]- الآيتان 49 . 50، سورة الشورى.

[17]- الآية 132 ، سورة البقرة.

[18]- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء، أبو القاسم الأصبهاني، ج1، دار صادر بيروت 1961 ص : 328.

[19]- الكامل في الأدب واللغة، محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ج1، مكتبة نهضة مصر ص: 185

[20]- عيون الأخبار ابن قتيبة،ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1973. ص: 168.

[21]- نقل عن أصول التربية والتعليم، تركي رابح، الدار الوطنية للكتاب الجزائر 1991، ص29.

[22]- البيان والتبيين الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون ج2، ط7، مكتبة الخانجي بالقاهرة 1998 ص : 180

[23]- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج3، دار الثقافة بيروت 1964. ص : 98.

[24]- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ج6، دار الكتب المصرية ص : 35.

[25]- رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون ج3، ط1، دار الجيل بيروت 1991. ص : 37.

[26]- نفسه، ج3 ص : 38.

[27]- نفسه ج3 ص : 39.

[28]- الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون ج1، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ص 286.

[29]- الكامل ج3 ص : 50

[30]- أدب الطفولة أصوله ومفاهيمه " رؤى تراثية "، أحمد زلط، ط1، الشركة العربية للنشر والتوزيع. القاهرة 1997. ص : 11.

[31]- أغاني ترقيص الأطفال عند العرب، أحمد أبو سعد، ط2، دار العلم للملايين مصر 1982. ص : 74.

[32]- الأمالي، أبو علي لقالي ج2 ، مطبعة الكتب المصرية . ص 185

[33]- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء، ج1، ص 77.

[34]– العقد الفريد، ابن عبد ربه تحقيق أحمد أمين وآخرون، ج3، مطبعة لجنة التأليف والنشر 1956. ص 92

[35]– الأمالي، ج1، ص : 77.

[36]– شروح اللزوميات، تحقيق سيدة حامد، زينب القوصي، منير لندني ووفاء الأعصر إشراف ومراجعة حسين نصار ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب ص : 420.

[37]– صورة الطفولة في الشعر العربي القديم، مخطوط أطروحة الدكتوراه سليمة عكروشي : ص : 174 . 175.

[*]– أنظر مثلا : كتاب المعلمين للجاحظ ضمن رسائله، ورسالة آداب المعلمين لابن سحنون، ووصايا المعلمين لابن قتيبة، والرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام اللمعلمين والمتعلمين للقابسي وكتاب السياسة لبن سينا، ومنهاج المتعلم للغزالي.

[38]– إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي، أبو حامد الغزالي، ج8، دار الفكر بيروت 1980 ص : 133.

[39]– نفسه، ج 8 ص : 111.

[**]– أنظر رسالة القابسي ص : 92 . 94.

## المراجع:


– إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار الفكر بيروت 1980

– أدب الطفولة أصوله ومفاهيمه، أحمد زلط، ط 1، الشركة العربية للنشر والتوزيع القاهرة 1997 .

– أغاني ترقيص الأطفال عند العرب، أحمد أبو سعد، ط2، دار العلم للملايين مصر 1982.

– البيان والتبيين الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، ط7، مكتبة الخانجي بالقاهرة 1998.

– الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون ج1، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

– رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون ج3، ط1، دار الجيل بيروت 1991

– شروح اللزوميات، تحقيق سيدة حامد، زينب القوصي، منير لندني ووفاء الأعصر إشراف ومراجعة حسين نصار ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب ص : 420.

– صورة الطفولة في الشعر العربي القديم، مخطوط أطروحة الدكتوراه سليمة عكروشي.

– العقد الفريد ابن عبد ربه تحقيق أحمد أمين وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والنشر 1956

– عيون الأخبار ابن قتيبة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1973.

– الكامل في الأدب واللغة، محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر

– لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت.

– محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء، أبو القاسم الأصبهاني، دار صادر بيروت 1961

– مخطوط بحث في التربية ومناهج التدريس بعنوان إستراتيجيات التدريس المتقدمة وإستراتيجيات التعلم وأنماط التعلم، عبد الحميد حسن عبد الحميد شاهين كلية التربية جامعة الإسكندرية 2010 / 2011

– مدخل إلى الفكر الإستراتيجي، صلاح نيُّوف، الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك كلية العلوم السياسية.

– نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري دار الكتب المصرية.